

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)

مِنْ مَادَّةِ

شَرْحِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ

www.menhag-un.com

الرُّكْنُ الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَكُتِبَهُ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْكِتَابُ: جَمْعُ (كِتَابٍ بِمَعْنَى (مَكْتُوبٍ).
 * قُلْتُ: وَهُوَ مِنَ الْكِتَابِ بِمَعْنَى الْجَمْعِ وَالضَّمِّ، فَتُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ
 الْكِتَابَ عَلَى رُسُلِهِ، وَأَنَّهَا كَلَامُهُ، وَأَنَّهَا حَقٌّ، وَنُورٌ، وَهُدًى، وَبُرْهَانٌ.
 فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا سَمَّى اللَّهُ مِنْهَا كَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى، وَكَالتَّوْرَةِ،
 وَالْإِنْجِيلِ، وَالزَّبُورِ، وَالْقُرْآنِ، وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا لَمْ يُسَمَّ مِنْهَا.
 قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهَا تَعَالَى عَلَى
 رُسُلِهِ؛ رَحْمَةً لِلْخَلْقِ، وَهَدَايَةً لَهُمْ، لِيَصِلُوا بِهَا إِلَى سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.
 وَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:
 الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ نَزُولَهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَا عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهَا بِاسْمِهِ كَالْقُرْآنِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ
 ﷺ، وَالتَّوْرَةِ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى مُوسَى ﷺ، وَالْإِنْجِيلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عِيسَى
 ﷺ، وَالزَّبُورِ الَّذِي أُوتِيَهُ دَاوُدُ ﷺ وَأَمَّا مَا لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ فَتُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا.

الثَّالِثُ: تَصَدِّقُ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا، كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفَ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِهِ سَوَاءٌ فَهَمْنَا حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْهَا، وَجَمِيعُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مَنْسُوخَةٌ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨] أَي: (حَاكِمًا عَلَيْهِ).

وَعَلَى هَذَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ مِنْهَا وَأَقْرَهُ الْقُرْآنُ.

* قُلْتُ: وَكُلُّ الَّذِي عِنْدَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا مِنَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ عِنْدَنَا مِثْلُهُ، وَخَيْرٌ مِنْهُ فَأَغْنَانَا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَوْحَى إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فَالْإِيْمَانُ بِالْكِتَابِ:

أَنْ نُؤْمِنَ بِأَنَّهَا مُنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ حَقًّا.

وَأَنْ نُؤْمِنَ بِمَا سَمَّاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا.

وَأَنْ نُصَدِّقَ مَا صَحَّ مِنْ أَخْبَارِهَا كَأَخْبَارِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَخْبَارِ مَا لَمْ يُبَدَّلْ أَوْ يُحَرَّفَ مِنَ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ.

وَأَنْ نَعْمَلَ بِأَحْكَامِ مَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا، وَأَنْ نَرْضَى، وَنُسَلِّمَ بِهِ سَوَاءً فَهَمَّنَا
حِكْمَتَهُ أَمْ لَمْ نَفْهَمْ.

وَنُؤْمِنُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ نَاسِخٌ لِجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَمُهِمِّنٌ عَلَيْهَا،
وَحَاكِمٌ عَلَيْهَا فَلَا يَجُوزُ الْعَمَلُ بِأَيِّ حُكْمٍ مِنْ أَحْكَامِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ إِلَّا مَا صَحَّ
مِنْهَا، وَأَقْرَهُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ.



مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالْكِتَابِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً مِنْهَا:

الْأُولَى: الْعِلْمُ بِعِنَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَنْزَلَ لِكُلِّ قَوْمٍ كِتَابًا يَهْدِيهِمْ بِهِ.

الثَّانِيَةُ: الْعِلْمُ بِحِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَرْعِهِ حَيْثُ شَرَعَ لِكُلِّ قَوْمٍ مَا يُنَاسِبُ أَحْوَالَهُمْ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

* قُلْتُ: فَالْحِكْمُ الَّتِي لِأَجْلِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْكِتَابَ لِمُرَاعَاةِ مَصَالِحِ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَلِكَيْ يَدُلَّهُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتُوا بِهِ، وَمَا يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْتَنِبُوهُ لِكَيْ يَأْتُوا بِالْعِبَادَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَيَرْضَاهُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثَةُ: شُكْرُ نِعْمَةِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.



الرُّكْنُ الرَّابِعُ: الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ وَيَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ

قَالَ الشَّيْخُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

وَرُسُلِهِ

* قُلْتُ: «الرُّسُلُ جَمْعُ رَسُولٍ، وَهُوَ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى قَوْمٍ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ كِتَابًا لَكِنْ أَوْحَى إِلَيْهِ حُكْمًا لَمْ يَكُنْ فِي شَرِيعَةٍ مِنْ قَبْلِهِ.

وَأَمَّا النَّبِيُّ، فَهُوَ: مَنْ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ إِلَى شَرِيعَةٍ سَابِقَةٍ دُونَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا أَوْ يُوْحَى إِلَيْهِ بِحُكْمٍ جَدِيدٍ نَاسِخٍ أَوْ غَيْرِ نَاسِخٍ، وَعَلَى ذَلِكَ فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٍّ، وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَقِيلَ هُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ (١).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ أَنْبِيَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْكُمُونَ بِالتَّوْرَةِ مَعَ أَنَّ التَّوْرَةَ أُنْزِلَتْ عَلَى نَبِيِّ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

(١) «مَذْكُرَةُ التَّوْحِيدِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَفِيْفِي مَعَ شَرْحِ شَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسَلَانَ (ص ٢٥٠، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّة).

إِذَنْ هَذَا التَّفْرِيقُ مُهِمٌّ؛ لِأَنَّهُ قِيلَ فِيهِ كَلَامٌ كَثِيرٌ، وَهَذَا أَعَدَّلَ الْأَقْوَالَ فِيهِ، وَأَصَحَّهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

«الْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ هُوَ التَّصَدِيقُ بِهِمْ جَمِيعًا، وَأَنَّهُمْ صَادِقُونَ فِيمَا أَخْبَرُوا بِهِ، وَأَنَّهُمْ بَلَّغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ، لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بَلْ نُوْمِنُ بِهِمْ جَمِيعًا مَنْ سَمَى اللَّهُ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُسَمَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

وَأَفْضَلُهُمْ: أُولُو الْعِزْمِ، مِنْهُمْ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الرُّسُلِ، ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ، وَأَفْضَلُ الْجَمِيعِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ. وَالْأَذْيَانُ سِوَى دِينِ الرَّسُولِ ﷺ مَنَسُوخَةٌ كُلُّهَا، لَكِنَّ الْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ، وَأَنَّهُمْ حَقٌّ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ (١).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الرُّسُلُ: جَمْعُ (رَسُولٍ) بِمَعْنَى (مُرْسَلٍ) أَيْ (مَبْعُوثٍ) بِإِبْلَاحِ شَيْءٍ.

وَالْمُرَادُ هُنَا: مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَشَرِ بِشَرْعٍ وَأُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ. وَأَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣].

(١) «شَرْحُ مُدْكِرَةِ التَّوْحِيدِ» لِشَيْخِنَا أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسُلَانِ - حَفِظَهُ اللَّهُ - (ص ٦٢ - ٦٣، دَارُ الْفُرْقَانِ الْمِصْرِيَّةِ، الطَّبَعَةُ الْأُولَى).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»^(١): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: أَنَّ النَّبِيَّ صلی الله علیه وآله وسلم ذَكَرَ أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى آدَمَ لِيَشْفَعَ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «أَنْتُمْ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ...»، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ صلی الله علیه وآله وسلم: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وَلَمْ تَخُلْ أُمَّةً مِّن رَّسُولٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِشَرِيعَةٍ مُّسْتَقِلَّةٍ إِلَى قَوْمِهِ، أَوْ نَبِيٍّ يُوحَى إِلَيْهِ بِشَرِيعَةٍ مِّن قَبْلِهِ لِيُجَدِّدَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة: ٤٤].

وَالرُّسُلُ بَشَرٌ مَخْلُوقُونَ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ خَصَائِصِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ شَيْءٌ. * قُلْتُ: وَالْجَنُّ لَيْسَ فِيهِمْ رُسُلٌ بَلْ فِيهِمُ النَّذِرُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (١٩) قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٠) يَنْقُومُنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ، يَغْفِرْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الرَّقَاقِ، ٥١: ١٧، رَقْمُ ٦٥٦٥)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْإِيمَانِ، ٨٤: ١٢، رَقْمُ

لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجَزِّمَنَّ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿[الأحقاف: ٢٩ - ٣٢].

فَلَمْ يَذْكُرُوا رَسُولًا مِنْهُمْ، وَلَا كُتِبَ أَنْزَلَتْ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا الْكِتَابَيْنِ الْمُنَزَّلَيْنِ عَلَىٰ مُوسَىٰ، وَمُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ يَأْتِ ذِكْرُ الْإِنْجِيلِ مَعَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ، وَذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ الَّتِي فِي الْإِنْجِيلِ قَدْ جَاءَتْ فِي التَّوْرَةِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَاتِ (١): «وَلَمْ يَذْكُرُوا عِيسَى؛ لِأَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْإِنْجِيلُ فِيهِ مَوَاعِظُ، وَتَرْفِيقَاتُ، وَقَلِيلٌ مِنَ التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ كَالْمُتَمِّمِ لِشَرِيعَةِ التَّوْرَةِ فَالْعُمْدَةُ عَنْدهُمْ التَّوْرَةُ، فَلِهَذَا قَالُوا ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٠]، يَعْنُونَ الْكِتَابَ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ (٢).

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ الرُّسُلِ الْمُرْسَلِينَ وَأَعْظَمُهُمْ جَاهًا عِنْدَ اللَّهِ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

(١) «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٧/ ٣٠٢، دَارُ طَيْبَةِ).

(٢) «شَرْحُ حَدِيثِ جَبْرِيلَ فِي تَعْلِيمِ الدِّينِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْعَبَّادِ الْبُدْرِ (ص ٣٣، مَطْبَعَةُ سَفِيرِ، الرِّيَّاض).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (١١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿[الجن: ٢١-٢٢].

* قُلْتُ: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي﴾: لَنْ يَمْنَعَنِي مِنْ عَذَابِهِ إِنْ عَصَيْتُهُ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أَي: مَلْجَأٌ أَوْ حِرْزًا أَوْ رُكْنًا أَوْيَ إِلَيْهِ وَأَرْكُنُ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَتَلَحُّقُهُمْ خَصَائِصُ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْمَرَضِ، وَالْمَوْتِ، وَالْحَاجَةِ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي وَصْفِهِ لِرَبِّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي مَخْرَجِي ﴿[الشعراء: ٧٩-٨١].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَى كَمَا تَنْسُونَ، فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي» (١).

وَقَدْ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعُبُودِيَّةِ لَهُ فِي أَعْلَى مَقَامَاتِهِمْ، وَفِي سِيَاقِ الشَّاءِ عَلَيْهِمْ فَقَالَ تَعَالَى فِي نُوحٍ ﷺ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وَقَالَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿بَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (الصَّلَاةِ، ٣: ٣١، رَقْمُ ٤٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي (الْمَسَاجِدِ، ١٩: ١٠، رَقْمُ ٥٧٢)، مِنْ حَدِيثِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ -: ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿[ص: ٤٥ - ٤٧].

وَقَالَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

* قُلْتُ: وَلَكِنْ لَا يُدْرِكُهُمْ مَا يَكُونُ مُنْفَرًّا، وَهُمْ مَعْصُومُونَ فَلَا يُوَاقِعُونَ الْمَعَاصِيَ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ، فَهُمْ مِمَّنْ اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَاصْطَفَاهُمْ، وَأَخْلَصَهُمْ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالْإِيمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَضَمَّنُ أَرْبَعَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥].

* قُلْتُ: وَمَعْلُومٌ أَنَّ نُوحًا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - هُوَ أَوَّلُ الْمُرْسَلِينَ، فَكَيْفَ يُقَالُ فِي قَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَذَّبُوا الْمُرْسَلِينَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولٌ قَبْلَهُ؟

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَجَعَلَهُمُ اللَّهُ مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ رَسُولٌ غَيْرُهُ حِينَ كَذَّبُوهُ.

* قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ عِنْدَمَا يُكَذِّبُونَ بِهِ يُكَذِّبُونَ بِالرُّسُلِ كُلِّهِمْ.

وَكَذَلِكَ فِيمَنْ تَأَخَّرَ، فَمَنْ كَفَرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ بِجَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، وَمَنْ كَفَرَ بِوَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَكَفَرَ بِرِسَالَتِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَفِيهَا دَلِيلٌ كَافٍ شَافٍ كَمَا تَرَى: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولٌ قَبْلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ رَسُولٌ سِوَاهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا كَذَّبُوهُ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُكَذِّبِينَ لِجَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَعَلَى هَذَا فَالْنَّصَارَى الَّذِينَ كَذَّبُوا مُحَمَّدًا ﷺ وَلَمْ يَتَّبِعُوهُ هُمْ مُكَذِّبُونَ لِلْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ غَيْرِ مُتَّبِعِينَ لَهُ أَيْضًا، لَا سِيَّمَا وَأَنَّهُ قَدْ بَشَّرَهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا مَعْنَى لِبَشَارَتِهِمْ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَسُولٌ إِلَيْهِمْ يُنْقِذُهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِمَنْ عَلِمْنَا اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ مِثْلَ: مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى وَنُوحٍ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِزِّ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوَاضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ:

فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

وَفِي سُورَةِ الشُّورَى فِي قَوْلِهِ: ﴿﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وَأَمَّا مَنْ لَمْ نَعْلَمْ اسْمَهُ مِنْهُمْ فَنُؤْمِنُ بِهِ إِجْمَالًا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

* قُلْتُ: وَقَدْ سَمَى اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ ذَكَرَهُمُ الشَّاعِرُ فِي قَوْلِهِ:

فِي تِلْكَ حُجَّتَنَا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ مَنْ بَعْدَ عَشْرِ وَيَبْقَى سَبْعَةٌ وَهُمْ
إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ، وَكَذَا ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا^(١)

(فِي تِلْكَ حُجَّتَنَا) ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثَمَانِيَةَ عَشَرَ رَسُولًا، وَنَبِيًّا، وَذَكَرَ سَبْعَةَ فِي ثَنَائِهِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ فَجَمَعَهُمُ الشَّاعِرُ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ؛ تَيْسِيرًا لِحِفْظِهِمْ يَعْنِي جَمَعَ مَنْ فَصَّلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ذِكْرًا، وَمَنْ أَجْمَلَ ذِكْرَهُ فَجَمَعَهُمَا - يَعْنِي الْفَرِيقَيْنِ - لِتَيْسِيرِ حِفْظِ أَسْمَاءِ الرُّسُلِ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّالِثُ: تَصَدِيقُ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.
الرَّابِعُ: الْعَمَلُ بِشَرِيعَةٍ مِنْ أُرْسِلَ إِلَيْنَا مِنْهُمْ، وَهُوَ خَاتَمُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ،
الْمُرْسَلُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ
فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

* قُلْتُ: فَإِلَّا يَمَانُ بِالرُّسُلِ يَتَضَمَّنُ هَذِهِ الْأُمُورَ الْأَرْبَعَةَ:

(١) «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» لِلْهَرَّاسِ (١/ ٦٣، دَارُ الْهَجْرَةِ - الْخَبَر).

أَنْ تُوْمِنَ بِأَنَّ رِسَالَتَهُمْ حَقٌّ، وَمَنْ كَفَرَ بِرِسَالَةٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِالْجَمِيعِ.
وَأَنْ تُوْمِنَ بِمَنْ عَلِمْتَ اسْمَهُ مِنْهُمْ بِاسْمِهِ، وَمَنْ لَمْ تَعْلَمْ اسْمَهُ مِنْهُمْ تُوْمِنُ بِهِ
إِجْمَالًا.

وَتَصَدِّقُ مَا صَحَّ عَنْهُمْ مِنْ أَخْبَارِهِمْ.

وَتَعْمَلُ بِشَرِيعَةٍ مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

«الرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ مِنَ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ، وَمِنَ الْحَاضِرَةِ دُونَ الْبَادِيَةِ، كَمَا قَالَ
تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ [يوسف: ١٠٩].

وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّسَاءِ نَبِيَّةٌ، وَإِنَّمَا فِيهِنَّ صَدِيقَاتٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَهْلُ الْقُرَى﴾ فَاَلْمُرَادُ بِالْقُرَى الْمُدُنُ لَا أَنَّهُمْ يَعْنِي
الرُّسُلَ مِنَ أَهْلِ الْبَوَادِي.

وَلَا يَنَافِي ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ لِأَنَّهُ
مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ يَعْقُوبَ نَبِيٌّ فِي الْمُدُنِ، وَخَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْبَادِيَةِ أَوْ أَنَّ الْبَدْوَ
الَّذِي جَاءَ مِنْهُ يَعْقُوبُ مُسْتَنِدٌّ إِلَى الْحَاضِرَةِ فَأُعْطِيَ حُكْمَهُ^(١).



(١) «سُرُوحُ حَدِيثِ جَبْرِيلَ فِي تَعْلِيمِ الدِّينِ» لِلشَّيْخِ عَبْدِ الْمُحْسَنِ الْعَبَّادِ الْبَدْرِ (ص ٣٤ - ٣٥،
مَطْبَعَةُ سَفِيرِ الرِّيَاضِ)، «تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ» (٤/ ٤٢٣)، دَارُ طَبِيعَةِ، «دَفْعُ إِيهَامِ الْإِضْطِرَابِ عَنْ
آيَاتِ الْكِتَابِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ الشَّنْقِيطِيِّ (ص ١٢٣، مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ - الْقَاهِرَةُ).

ثَمَرَاتُ الْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِلْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:

الأُولَى: الْعِلْمُ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنَايَتِهِ بِعِبَادِهِ حَيْثُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ لِيَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيُؤَيِّنُوا لَهُمْ كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ، لِأَنَّ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ لَا يَسْتَغْنِي بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

* قُلْتُ: قَدْ يَهْتَدِي الْعَقْلُ إِلَى إِثْبَاتِ وُجُودِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ، وَصِفَاتِهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْرِفَ شَرْعَهُ فَكُلُّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَعْرِفُ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ الْمَعْصُومِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا تَسْتَغْنِي بِهِ الْعُقُولُ، وَلَا يَعْرِفُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الرُّسُلِ فَمِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَرَحْمَتِهِ بِخَلْقِهِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَجَعَلَ الرُّسُلَ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِتَتِمَّ الْأُسُوءَةُ، وَلِكَيْ تَكْمَلَ الْحِكْمَةُ وَالِاتِّبَاعُ عَلَى وَجْهِهِ الصَّحِيحِ.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الثَّانِيَةُ: شُكْرُهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النُّعْمَةِ الْكُبْرَى.

الثَّالِثَةُ: مَحَبَّةُ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَتَعْظِيمُهُمْ، وَالشَّاءُ عَلَيْهِمْ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ رُسُلُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلِأَنَّهُمْ قَامُوا بِعِبَادَتِهِ، وَتَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ.

وَقَدْ كَذَّبَ الْمُعَانِدُونَ رُسُلَهُمْ زَاعِمِينَ أَنَّ رُسُلَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَكُونُونَ مِنَ الْبَشَرِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الزَّعْمَ وَأَبْطَلَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ١٤ قَدْ لَوَّكَاتٍ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿[الإسراء: ٩٤ - ٩٥].

* قُلْتُ: فَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ، وَعِنَايَتِهِ، وَشَفَقَتِهِ، وَرَحْمَتِهِ بِالْبَشَرِ أَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَجَعَلَ الرُّسُلَ مِنْ جِنْسِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَوْ أَرْسَلَ إِلَى الْبَشَرِ مَلَائِكَةً لَمْ تَتِمَّ الْأُسُوءَةُ، وَلَمْ تَكْمُلِ الْقُدُوءَةُ، وَلَقَامَ لِلنَّاسِ بَعْضُ حُجَّةٍ.

فَيَقُولُونَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ الَّذِينَ بَلَّغُونَا مَا بَلَّغُونَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ فِعْلِهِ، وَكَانُوا قَادِرِينَ عَلَىٰ الْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَوْ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ لَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَأْتَمِرُوا، وَأَنْ يَنْتَهُوا فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى الْبَشَرِ رُسُلًا مِنْهُمْ؛ لِكَيْ تَنْقَطِعَ الْأَعْدَارُ، وَالْحُجَجُ، وَلِكَيْ تَتِمَّ الْأُسُوءَةُ، وَالْقُدُوءَةُ.

فَإِذَا مَا رَأَيْنَا الرُّسُولَ وَهُوَ بَشَرٌ مِمَّا يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ، وَيَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَمْرُضُ كَمَا يَمْرُضُ النَّاسُ، وَتَجْرِي عَلَيْهِ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَجْرِي عَلَى النَّاسِ إِذَا رَأَى الْبَشَرَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَتَحَمَّلُ صَابِرًا، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، وَيُسَارِعُ إِلَى الْإِتِمَارِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِمَّا بَلَّغَهُ، وَإِلَى الْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِمَّا بَلَّغَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ تَتِمُّ بِهِ الْأُسُوءَةُ لَا مَحَالَةَ، وَتَنْقَطِعُ الْحُجَّةُ حُجَّةُ الْبَشَرِ عَلَى رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قَالَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَأَبْطَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذَا الزَّعْمَ بِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الرُّسُولُ بَشَرًا؛ لِأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَهُمْ بَشَرٌ، وَلَوْ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ

مَلَائِكَةً لَّنَزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكَاً رَسُولاً، لِيَكُونَ مِثْلَهُمْ، وَهَكَذَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصْذُونا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ ١٠ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كُنَّا لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١١﴾ [إبراهيم: ١٠-١١].

* قُلْتُ: فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، فَيَصْطَفِي رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، وَمِنَ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَى الْبَشَرِ رُسُلًا مِنْهُمْ، وَزَعَمَ الزَّاعِمُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لِلرُّسُلِ أَنَّ ذَلِكَ مُبْطِلٌ لِلْإِرْسَالِ أَصْلًا.

كَانَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا كَانَ يَقُولُهُ أَفْلَاطُونٌ مِنْ قَبْلُ فِي حُجَّتِهِ بِإِنْكَارِ النُّبُوتِ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَسْتَحِيلُ عَقْلاً، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْكَامِلُ، وَهَذَا حَقٌّ فَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْكَامِلُ فِي ذَاتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ، وَفِي أَعْمَالِهِ، قَالَ: وَالْبَشَرُ نَاقِصُونَ مَهْمَا كَمَلُوا، وَهَذَا حَقٌّ أَيْضًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا يَكُونُ لَهُمُ الْكَمَالُ الْإِلَهِىُّ، وَلَكِنَّ الْكَمَالَ الْبَشَرِيَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ قَالَ: فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقَعَ اتِّصَالٌ بَيْنَ الْكَامِلِ، وَالنَّاقِصِ، فَأَنْكَرَ وَادَّعَى أَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بِحَالٍ عَقْلاً أَنْ يَكُونَ مِنَ الْبَشَرِ رُسُلٌ كَهَذَا الزَّعْمِ الَّذِي زَعَمَهُ أُولَئِكَ الْمُكَذِّبُونَ، وَأَبْطَلَهُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.